

التبيان في تفسير القرآن

(535) وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم أهله هذه الآية. وما قلناه هو قول مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس. وقال محمد بن كعب القرطبي: في هذه الآية رد على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله ولداً - وعلى مشركي العرب حيث قالوا: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك. وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا: لولا أولياء الله لنزل الله رداً لقولهم أجمعين. وليس لاحد أن يقول: كيف يحمد الله على أن لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، والحمد إنما يستحق على فعل ماله صفة التفضل، وذلك أن الحمد في الآية ليس هو على أن لم يفعل ذلك، وإنما هو حمد على أفعاله المحموده، ووجه إلى من هذه صفته، لا من أجل أن ذلك صفته، كما تقول: أنا أشكر فلانا الطويل الجميل، ليس أنك تشكره على جماله وطوله، بل على غير ذلك من فعله ومعنى " وكبره تكبيراً " صفة بصفاته التي لا يشركه فيها أحد. وقيل: كبره عن كل مالا يليق وصفه به.